الشيخ مختار بن العربي مؤمن

عضو مجلس أمناء الهيئة العالمية لأنصار النبي ﷺ

الهجرة ونصرة غزة

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على من اصطفى محمد وآله وصحبه وبعد:

لا تقوم حضارة ولا تسقط أخرى إلا وفق السنن الكونية التي جعلها الله من نواميس الكون، وإن أسباب قيام الحضارات يمرّ بمراحل كمراحل نمو الإنسان، بين فترة الطفولة إلى الشباب مروراً بالكهولة ثم إلى الشيخوخة وبعدها السقوط، وأن السقوط يحتاج إلى معالجة جادة من نطَّاسيين عالِمين أمناء، وأن هذه الحياة مسرح للصراع بين الحق والباطل.

سنن التمكين

ولا يزال التدافع باقياً ما بقي إنسان على وجه الأرض فكيف إذا كان الصراع قائماً بين حزب الله الذي مهمته إقامة دين الله في الأرض، وحزب الشّيطان الذي مهمته تحقيق

يمين إبليس بإغواء أكثر الناس عن سبيل الله، فإنّ هذا الصراع لا يمكن أن يتوقف حتى تقوم الساعة، وإن الأمة الخاتمة جزء من هذا الصراع الطويل المرير، فكلما تمسكت بالوحي واستنارت بهداه تيسر لها التمكين على وجه المعمورة، وكلما طُمست بين يديها تلك المعالم تخبطت ذات اليمين والشمال حتّى تجد من يأخذ بيدها إلى الطريق السوي، والصراط المستقيم.

وإنّ من سنن الله في الكون بعث المجددين لها على رأس كل مائة عام إما على هيئة أفراد، أو جماعات، أو قبائل، أو شعوب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إنّ الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[1].

ومن رحمة الله بالأمة الإسلامية أنه يتعاهدها بوجود العلماء أو الحكام، الذين ينشرون الدين كما كان على عهد النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم. ومعنى «إن الله يبعث»، أي: يرسل، ويوجد ويقيّض، «لهذه الأمة»، أي: أمة المسلمين، وقيل: للعالم كله، «على رأس كل مائة سنة»، أي: انتهائها أو أوّلها، عندما يقلّ الدين وتهجر السنن ويكثر الجهل والبدع، «من يجدد لها دينها»، أي: يظهر ما نسي وهُجر العمل به من الدّين، وينشر السّنن، ويحارب البدع.

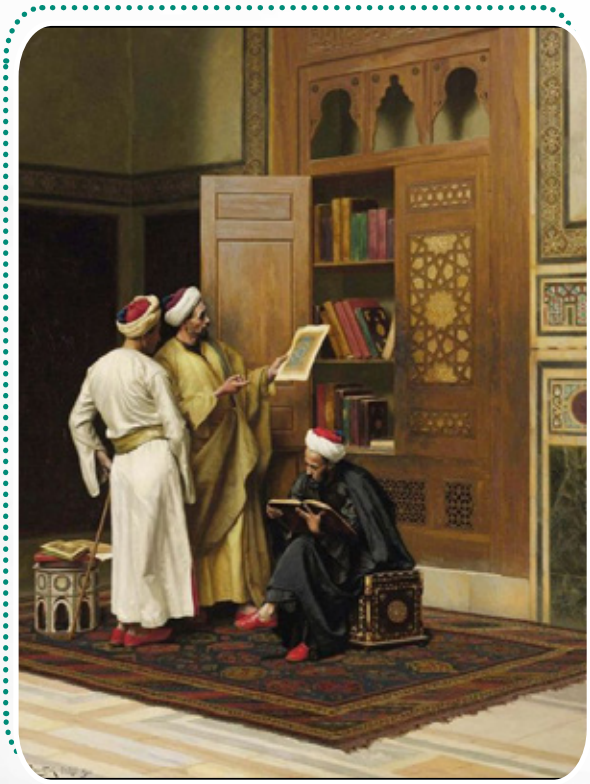

---

١ رواه أبو داود (٤٢٩١) وصححه الألباني.

ولفظة «مَن» عامة وتقع على الواحد والجمع، وليس فيها تخصيص المجددين بأنّهم الفقهاء أو العلماء فقط؛ فإنّ انتفاع الأمة بهم وإن كان كثيراً فانتفاعهم بأولي الأمر والحكام الصّالحين أمر واضح أيضاً؛ فبهم يحفظ الدين ويبث العدل، كما أن العلماء يضبطون أصول الشرع وأدلته، وفي الحديث: بيان لحفظ الله سبحانه وتعالى لدينه، ومعالم التجديد اليوم بارزة في المفاهيم التي لقنتها حرب غزة المستعرة في العالم كله؛ بله المسلمين.

معالم الهجرة وبصيص الأمل

تتجدد السنة الهجرية فيتجدد معها الأمل في عام جديد يحمل في طياته انبعاثاً جديداً للأمة، وصناعة حلم لطالما راود المُتشوِّقين لصناعة مجدٍ جديد يتضوّع عبق التاريخ، وصناعة التّحدي الحاضر، ولكن الذكريات وحدها لا تصنع مجداً، وإن كانت هنالك فوانيس من نور يحاول شقّ الظلام باستماتة وجهد عظيم، فذاك يحتاج إلى مساندة من الأمة لو عقلت معناه، فالعبرة بالهجرة أن تعبر الأمة جمعاء من أمواج الإهمال إلى شاطئ النجاة والكمال، والهجرة تحيي في النفوس وهج أشعة تحرق الباطل وأهله، وتنير للحق وأتباعه، لا أن تكون منارة للاجتماع للرقص والأكل والدوران كما يدور الثور في رحاه، ولا مساراً للتغني بضياع مجد أضعناه، ولم نعمل لعودته وإحياء مساره.

إن الهجرة تعني الانتقال من الذلة والاستضعاف إلى العزة والرفعة والقيادة، قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [الأنفال: ٢٦].

الهجرة تعني الكفر بالباطل بكل تقاسيمه وأنواعه، واستشعار نعمة الدين والأمن والإيمان وتوحيد الملك الديان ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ ۚ أَفَبِٱلْبَٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَكْفُرُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٧].

إنّ الهجرة تعني هجرة ميراث النبوة من ضيق العمل والملاحقة إلى فضاء التطبيق والمحاققة، إن الهجرة أيها السادة هي العنوان الجديد لنبوة خاتمة ورسالة شاملة، قال البشير الإبراهيمي رحمه الله: «هجرة محمد ﷺ وأصحابه كانت هجرة قوة كاثرها الباطل المتهافت، والشرك المتخافت، وعاقها عن امتداد العروق، وبُسوق الأفنان في أرضها التي فيها نبتت، وجوّها الذي فيه تنفست، وقد طاش ذلك الباطل الطيشة الكبرى، وبحث عن حتفه بظلفه، فأخرج تلك القوة إلى حيث تزداد قوةً ورسوخاً، وهذا من عجيب صنع الله لهذا الدين القوي الراسخ».

فسبحان من جعل المحنة منحة، وما أمرُ غزة عنا ببعيد؛ فلو لم تحاصَر لما صنعت سلاحها، وحققت مرادها، لا تقُل إن الثمن كبير ولكن قل إن المشتري عظيم، ولهذا لابد لكل فئات الدعوة والصحوة الالتفات إلى تجميع قوتها لتصير رقماً، وهي بحمد الله لها من

القواسم المشتركة ما يؤهلها لصناعة نتائج مباركة لهجرتها. وأرى أن أفغانستان يمكن أن تكون نواة القدوة في صناعة التمكين المرتقب، وغزة بعد لملمة جراحها بإذن الله قد أزاحت كثيراً من الظلام الكثيف، فقد أثبتا للعالم أن المسلم يمكنه بناء مجده من قوته المعنوية، ومن هجرته للباطل والتمسك بهويته الإسلامية لا غير.

تمكين معاني الهجرة

إن على الدعاة أن يطرقوا جميع أبواب الهجرة الموصدة اليوم وتمكين معانيها السامية في النفوس؛ لأن بعد الهجرة تحققت:

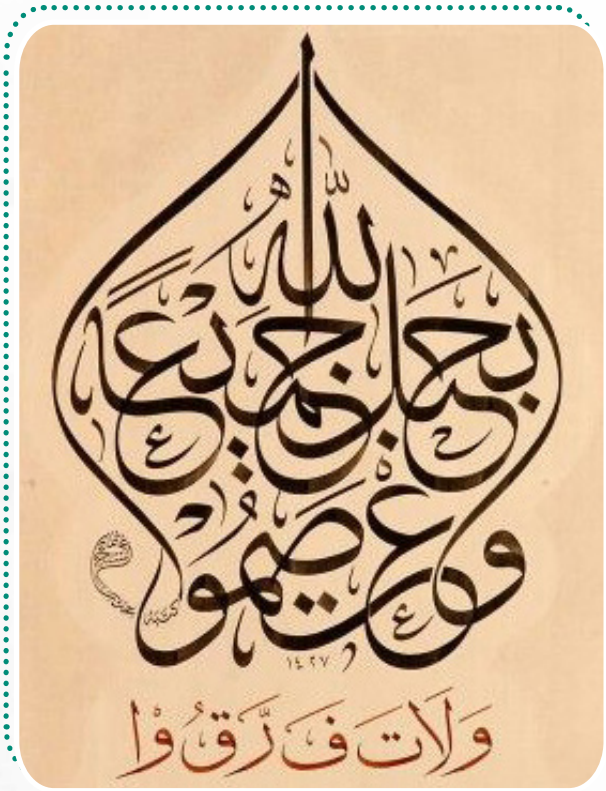

❁ **الأخوّة الإسلامية الصادقة**، والتي تُعد أهم قوة تُدافع عن الحق؛ فلا ينبغي أن يكون بينها شقاق حتى لا تتشقق، وهذا الذي نعانيه اليوم ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ﴾ [الأنفال: ٧٢].

فأي جماعة تسعى لهدف واحد يتعين عليها تمتين العلاقات بين أفرادها، علاقة تقوم على أساس العقيدة الصافية، فكان لهم بذلك التمكين في الأرض في أقصر مدة عرفتها البشرية؛ فأسقَطوا بها أعظم إمبراطوريتين قامتا قبل الإسلام، فعلى الجماعات العاملة في الساحة أن تراجع هذه الركيزة وتبنيها على أساس الولاء لله وحده.

بناء المراكز التربوية والقيادية على تقوى من الله ورضوان؛ إذ هي مصانع الرجال ومراكز تربية العفيفات الطاهرات صانعة الأبطال، كما قال الله تعالى: ﴿لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

مسجد قباء

وكان ذلك الأس الذي بدأ به النبي ﷺ، وهو بناء المسجد الذي سيكون اللبنة الأولى في بناء المجتمع المسلم، والذي تنطلق منه الجيوش الفاتحة، بل شارك بنفسه وهو يغرس بكلماته في نفوس أصحابه أن أفضل جِمال هو ما يحمله العبد للآخرة

هذا الجِمَالُ لا حمالُ خَيْبَر ●● هَذَا أَبَرُّ ربَّنا وأطْهَر

صار المسجد مدرسة للتعليم ومكاناً للعبادة ومنبراً للوعظ وإلقاء الشعر، ذبًّا عن الدعوة والدولة، ومأوى للضعفاء والفقراء، ومحلاً للأسرى، ومركزاً صحياً للعلاج كما في قصة خيمة رفيدة، يتوسط المدينة كما يتوسط القلب أعضاء البدن.

إنها معاني جديدة للمسجد ليكون محور الرحى، ومحط الأفئدة والأنظار، وإنّ احتلال بيوت الله في عصرنا من أقوام لا يحملون همّ الرسالة، ولا هاجس الدعوة، ولا عبور الهجرة من الباطل إلى الحق، ومن الكفر إلى الإسلام، ولا يستشعرون المسؤولية الملقاة على عاتقهم.. لهم حرّاس مساجد ضرار، ولا سيما مَن وقف منهم مناوئاً للخير وأهله، يسارع في الإفك والزور، وينشر في المجتمع الويل والثبور، ويقف إلى جانب

أعداء الملة والدين؛ ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [التوبة: ١٠٩].

المراكز الاقتصادية القوية الحرة التي لا تتحكم فيها الإمبراطوريات الرأسمالية ولا الاشتراكية ولا تسيرها العولمة المارقة، حيث جعل للمسلمين سوقاً تجمع تجارهم، وتغني ضعفاءهم، وتزيل عن كواهلهم جشع اليهود القابعين في سراديب المكر والخديعة، الجاثمين دوماً أمام خوار العجل الذي أُشربته قلوبهم.

استقلال الموارد وعلى رأسها المياه التي تشكل أعظم رافد في الحياة؛ حيث ندب النبي ﷺ إلى شراء تلك البئر العذبة لتكون خالصة للدولة الفتية وأهلها، وذلك أنه لما قدِم المهاجرون المدينة المنورة لم يستسيغوا ماءها، وكان بئر رومة من أعذب مياه الآبار في المدينة، فكانوا يستقون منه بالثمن، فأرهقهم ذلك، فعندئذٍ حثّ رسول الله ﷺ أصحابه إلى شراء بئر رومة والتبرع به للمسلمين، ووعد على ذلك بعين في الجنة، فاشتراها عثمان بن عفان رضي الله عنه وجعلها وقْفاً للمسلمين.

قال ابن كثير في البداية والنهاية: «بئر رومة: بضم الراء: بئر بالمدينة اشتراها عثمان رضي الله عنه وسبلها: أي جعلها وقفاً».

وفي معجم الصحابة للبغوي، والمعجم الكبير للطبراني، وفي سنن الترمذي عن بشر بن بشير الأسلمي عن أبيه قال: لما قدم المهاجرون المدينة استنكروا الماء (لم يستسيغوا طعمه)، وكانت لرجل من بني غفار عين

(ينبوع الماء الذي ينبع من الأرض ويجري) يقال لها: رومة، وكان يبيع منها القِربة بمُدّ (مقدار ما يملأ الرجل كفيه طعاماً)، فقال له النبي ﷺ: «تبيعنيها بعين في الجنة؟» فقال: يا رسول الله ليس لي ولا لعيالي غيرها. فبلغ ذلك عثمان رضي الله عنه فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي ﷺ فقال: أتجعل لي فيها ما جعلت له؟ قال: «نعم». قال عثمان: قد جعلتُها للمسلمين».

وفي رواية: «فاشتريتها من صلب مالي». وقد استدل الإمام السندي بقول عثمان رضي الله عنه في قوله في وقفه لبئر رومة للمسلمين: «(من صلب مالي) على أنه يُستحبّ للواقف أن يختار الغالي والنّفيس، ويبتعد عن الحقير الخسيس في الوقف والصدقة، لأنّ عثمان رضي الله عنه أخبر أنّ هذا الوقف من صلب ماله، وصلب المال كما فسره العلماء: أصل المال وخياره».

أغيثوا غزة

فأين أهل الأموال لينافسوا عثمان رضي الله عنه اليوم في حفر آبار وتوفير الطعام والماء والدواء لأهلنا في غزة، والذين هُجروا من ديارهم وأموالهم؟

ألا إن الهجرة بمعانيها العظيمة من النصرة والتجرد والعطاء ما زالت أبوابها مفتوحة، فهلموا يا أغنياء المسلمين ويا ضعفاءهم لجبر كسرنا في غزة، ولكسر العدو الغاشم في أرض العزة، يا من لا تستطيعون أن تهجروا (البيبسي) و(الكوكاكولا) والدماء تراق أخشى عليكم النكوص والنفاق! أيروقكم كسر إخوانكم وإراقة دمائهم بما تدفعونه لشركات الصهيونية العالمية المتمالئة مع أعداء أمتكم؟!

ألا هل من مبلغ أمتنا أن نصرها اليوم سيكون فيه عزها وسؤددها؛ لأن جهاد اليوم بأيد متوضئة طاهرة تتلو القرءان؛ فتجعل من رسائله منارات للعالم كله.

والسلام.